وجوه اخرى للارهاب

الكهربـــــاء.. عـــــارض (مزمـــــن) ام داء مستديـــــم؟

لماذا لا تعود محطة جنوبي بغداد الى سابق عهدها؟

صافي الياسري
تصوير: نهاد العزاوي

الكهرباء صفحة عتيقة من صفحات الارهاب بدأت كتابتها زمن النظام المباد وتعاد قراءتها كل يوم منذ سقوطه وتضاف اليها سطور تقودها نحو الاسوأ، مقرونة بارهاب البنزين والنفط والغاز والبطالة والسيارات والبيوت المفخخة وقذائف الهاون والعبوات الناسفة والاغتيالات،

لنعد الى الكهرباء فقد كانت صفحة ارهابية وسوطا استخدمه النظام المباد ضد العراقيين والمحافظات الجنوبية بشكل خاص، و ضد عدد من احياء بغداد، وبينما كان يبيع الكهرباء الى الاردن، كان يحارب الطلبة ايام الامتحانات بشكل خاص بقطع التيار الكهربائي في ساعات الحاجة اليه، عند الظهيرة وليلا، وقد ورث الارهابيون عنه بعد سقوطه صفحة الارهاب الكهربائي فشنوا حملة منظمة مستمرة لاسقاط وتدمير ابراج الضغط العالي وسرقة الكيبلات وتفجير المحطات وتفجير انابيب النفط والغاز التي تغذيها بالوقود، وتهديد الخبراء الاجانب واختطافهم وقتل الخبراء والموظفين والمهندسين العراقيين العاملين في هذه المحطات. ولا نريد سرد تفاصيل الحوادث فقد اشارت اليها وسائل الاعلام المحلية والاجنبية.

- صدام كان يبيع التيار الكهربائي ويحرم المواطنين
- من الذي اغرق بغداد بالظلمة ليلة ٢٠٠٣/٤/٣؟
- لماذا فشلت شركة (بكتل) الاميركية حتى الان في انعاش قطاع الكهرباء؟
- ما بديل قطع الغيار التي لم تعد تصنع؟
- وزارة الكهرباء وقلة المال والحيلة

محطة جنوبي بغداد الكهربائية

محطة جنوبي بغداد نموذج لما تعرض له قطاع الكهرباء من تخريب، هذه المحطة تغذي القسم الاعظم من احياء بغداد ومن اجل اعادة الحياة اليها طالب المهندسون العاملون فيها بالحصول على قطع غيار مهمة لاصلاحها، وقدموا طلبا مكتوبا الى مؤسسة (بيكتل) الهندسية الاميركية بعد ان حصلت على عقد من الحكومة الاميركية تبلغ قيمته مليار دولار لاصلاح البنية التحتية لشبكات الكهرباء المتداعية.

لكن انتظار المهندسين العراقيين الذين كتبوا الطلب طال دون ان توفر لهم مؤسسة (بيكتل) قطع الغيار المطلوبة.

المهندس علي شهاب احد مهندسي المحطة قال انهم لم يحصلوا من (بيكتل) الا على مجموعة من الوعود. وبدورها ا علنت (بيكتل) ان طلبات الحصول على قطع الغيار ليس من شأنها، وبعد ذلك اعلن الكابتن رودريك بتمان الضابط المسؤول عن المحطة: ان من المستحيل ايجاد قطع غيار للمحطة لانها قديمة جدا ويعود تأريخها الى العصر الحجري على حد تعبيره، و ان العثور على مثل هذه القطع اشبه بالعثور على ا جهزة فوق رفوف عالية غطاها التراب.

ويضيف المهندس علي شهاب انه مع وجود قطع غيار حديثة تستطيع المحطة زيادة طاقتها بنحو ٩٠ ميغا و اطاً وهي كافية لانارة نحو ٩٠,٠٠٠ منزل في بغداد.

عمرها ٤٦ عاما

المحطة التي شيدت على امتداد نهر دجلة عام ١٩٥٩، المانية الصنع، وكانت وحدات المحطة المولدة للطاقة تنتج مايكفي من الكهرباء لتلبية حاجات العاصمة بغداد، الا انه مع نمو بغداد اقتصاديا وصناعيا وسكانيا زادت الحاجة الى الطاقة الكهربائية، فلجأ العراق الى الولايات المتحدة الاميركية عام ١٩٦٥ لتزويده بوحدتين اضافيتين، و قد علق مدير المحطة المهندس بشير خلف على ذلك قائلا (كنا في ذلك التاريخ نمثل اكثر المحطات تقدما في العالم العربي).

وفي عام ١٩٨٣ وقبل ان تستنزف حرب صدام مع ايران خزينة الشعب استبدلت الوحدات الالمانية بوحدات من الولايات المتحدة، وقد قصفتها الطائرات الاميركية في حرب الخليج عام ٩١ ودمرت ٧٥٪ من قدرتها على الانتاج، وقد تمكن العاملون والمهندسون العراقيون من ملاك المحطة من اعادة اصلاحها خلال اربعة اشهر مستخدمين من قطع غيار كانت في مخازنها. وفي عام ١٩٩٦ توصل العراق الى عقد اتفاق مع الأمم المتحدة (اتفاق النفط مقابل الغذاء والدواء) سعى العراق من خلاله لشراء اجهزة وقطع غيار لمحطات توليد الطاقة الكهربائية، لكن بعض المعدات منعت لانها ذات استخدامات عسكرية ومنها مادة الكلورين الضرورية لتصفية المياه الداخلة في وحدات التوربين المولدة للبخار، وبذا أفسد نظام انتاج الطاقة الكهربائية ولم يعد بمستطاع محطة جنوبي بغداد اكثر من ١٨٥ ميغا واطاً. وعلق بشير خلف على ذلك الوضع قائلا: . كنا اشبه برجل عجوز فقد طاقته وقدرته . حتى هذه الكمية لم تتمكن المحطة من الحفاظ عليها ويتعرض ملاكها باستمرار لتهديدات الارهابيين، وتقطع عنها امدادات الوقود.

ماذا حدث في الثالث من نيسان ٢٠٠٣؟

يقول احد المهندسين ((في هذا التاريخ حدث امر مثير للغاية فقد ظلت المحطة تعمل بصورة طبيعية طيلة ا سابيع الحرب الا انه مع تقدم الدبابات الاميركية نحو مطار بغداد وزيادة القصف المكثف الذي تعرضت له ضواحي العاصمة، وفي تمام الساعة الثانية من ليلة الثالث من نسان بدأت خطوط الكهرباء ذات الفولتية العالية تسرب التار الكهربائي مما ادى الى توقف عمل المحطة الياً، وحدث الامر نفسه بالنسبة الى بقية المحطات مما ادى الى غرق العاصمة في الظلام ولم تكن لدى المهندسين والخبراء العراقيين ولا المهندسين الاميركان اية فكرة عما جرى واثيرت تساؤلات منطقية في اذا ما كان صدام قد اصدر امرا باطفاء الانوار في تلك الليلة).

احد الخبراء العراقيين قال (ان اشتداد القتال في بغداد ادى بالدائرة الكهربائية المقفلة من خطوط ذات فولتية عالية الى التمزق والانفصال مما تسبب في عدم توازن الشبكة الكهربائية التي ارسلت بدورها تدفقات كهربائية لكل مصنع في المحطات والشبكات في بغداد مما تسبب في انقطاع التيار الكهربائي وقد اضطر في حينها المهندسون الاميركيون الى استخدام مولدات كهربائية وتحويل الطاقة من المحطة الكهرومائية الوحيدة المتبقية من الاجهزة المولدة للطاقة، وعقب اسبوعين عادت المحطة للعمل مجدداً ولكن قدرتها لم تبلغ سوى ١٦٠ ميغاواطاً)).

حتى هذا الرقم لم تتمكن المحطة من المحافظة عليه وخير ما تمكنا من الحصول عليه هذه الايام هو برنامج قطع يعتمد جدولا ينقطع فيه التيار مدة اربع ساعات مقابل ساعتين تغذية.

منظومة التوزيع

يقول المهندس عامر العاني مدير عام في منظومة التوزيع (ان هناك طاقة متذبذبة من الانتاج الكهربائي، كما ان بعض المحطات عزلت لهذا السبب او ذاك عن الشبكة العامة، وهناك سبب ا خر مهم، هو عدم التزام المحافظات بحصصها، برغم اننا عقدنا اجتماعات عديدة مع المحافظين، ونرسل تعليماتنا باستمرار لهم لغرض توزيع عادل لعموم مناطق العراق، ولا اريدك ان تقول اننا نلقي بتقصيرنا على شماعة الارهاب، لكن لابد من ذكر الاعمال التخريبية التي تستهدف الانابيب النفطية والغازية التي تغذي المحطات بالوقود، كذلك تهديد ملاكها ومهندسين المحطات وقتلهم) اعترف ان ثمة جدلية فاعلة بين الامن والوقود و المحطات ملاكها وقدراتها الانتاجية.

وزارة الكهرباء وقلة المال والحيلة

كان وزير الكهرباء ايهم السامرائي قد صرح مرارا وتكرارا ان وزارته تفتقر الى التخصيصات اللازمة، ويفيد احد المديرين العامين في الوزارة (ان الامر لم يتغير كثيرا، وان العمليات التخريبية ضد المنشآت الكهربائية مازالت مستمرة وبوتيرة متصاعدة، وقد اغتيل شقيق الوزير في العام الماضي وقتل عدد من كبار الموظفين والمهندسين العامين في قطاع الكهرباء، الارهاب ليس شماعة نعلق عليها التقصير، فالتقصير والاهمال مرصودان، ولكن الارهاب حقيقة، قائمة لقد ارتقينا في فترة ما بالانتاج الى الكمية التي كانت تنتج قبل الحرب وزدنا عليها حتى ٤٠٠٠ ميغا واط.

ولكن الكمية تراجعت بسبب العمليات التخريبية، وكلما تقدمنا خطوات اعادنا المخربون خطوات الى الوراء. وفشل نظام تكليف السكان المحليين بحماية الابراج والخطوط ذات الفولتية العالية، اما شرطة حماية المنشآت الكهربائية فهي مازالت غير قادرة على توفير الأمن التام لهذه المنشآت. يضاف الى ذلك تفجير انابيب النفط والغاز التي تنقل الوقود الى المحطات يؤدي الى تعطلها اياماً حتى يعاد اصلاحها، وكذلك نمط الاستهلاك العالي للمواطنين الذي يؤدي الى تلف المحولات بسبب الضغط العالي عليها وعدم تحملها، والسبب هو اجهزة التدفئة والهيترات والسخانات ذات الاستهلاك العالي، الامر الذي يضيف عبئا ثقيلا اخر على شبكة الكهرباء التي لم نتمكن من تحديثها حتى الان.

اين التخصيصات الاميركية؟

كانت الادارة الاميركية قد طلبت تخصيص ٥,٧ مليار دولار لانعاش كامل النظام الكهربائي في العراق، ومع انه تم تخصيص المبلغ فعلا الا ان اليات صرفه مازالت معطلة، ويرى عدد من الخبراء العراقيين ان الاميركان مازالو بطيئين في مواجهة مشاكل الكهرباء، وانهم يريدون القاء تبعاتها على العراقيين من دون ان يساهموا في توفير مساعدة فعالة لانعاش هذا القطاع.

ولو ان التخصيصات انفقت في زمن قياسي معقول لشراء قطع غيار ووحدات توليد الطاقة مع استمرار تحديث شبكة التوصيل وتوفير الحماية الفعالة لها وتوفير الحماية لانابيب النفط و الغاز التي تغذيها لأمكن في الاقل تزويد ٤٠,٠٠٠ منزل في بغداد اضافة الى الاعداد الاخرى التي تزود الان بالتيار الكهربائي مما يعني تقليل زمن الانقطاعات الى اكثر من النصف.

اندرو بيربارك مدير العمليات كان بأمل ان انتاج الطاقة الكهربائية سيزداد تدريجيا الى مستويات ما قبل الحرب بنهاية شهر تموز ٢٠٠٣ كما صرح للواشنطن بوست وكما نرى، فقد تجاوزنا تموز ٢٠٠٤ وسننهي كانون الثاني ٢٠٠٥ والحال في تراجع.

ومع ان الادارة الاميركية وفرت لمؤسسة بيكتل تخصيصات اضافية، الا ان بيكتل التي وفرت لمحطة جنوبي بغداد المواد الكيمياوية اللازمة لمعالجة المياه داخل توربينات البخار، كونها قضية عاجلة للعمل والانتاج، تقول انها مازالت بحاجة الى المزيد من التخصيصات لمواجهة تحديات القطاع الكهربائي، اما بالنسبة لمسؤولية توفير قطع الغيار، فقد ألقت بها بكتل على عاتق وزارة الكهرباء أو (هيئة الكهرباء) قبل ان تصبح وزارة، وتعاني اليوم وزارة الكهرباء معاناة صعبة لعدم قدرتها على ايجاد قطع الغيار التي تم التوقف عن انتاجها، وعدم توفر البديل مما يعني بقاء الطاقة الانتاجية في محطة جنوبي بغداد متدنية.

اين المليارات؟

ويقول مايكل روبنسون مدير عمليات مؤسسة بكتل في بغداد مجيبا على سؤال: كيف نزيد الطاقة الانتاجية في محطة جنوب بغداد؟ (ان زيادة الطاقة الانتاجية لمحطة جنوب بغداد تتطلب مليارات الدولارات لاصلاح نظام الكهرباء) فاين هي مليارات الدولارات؟ ومن سيوفرها؟ واين مانحو مدريد؟ ومن سيحمي هذه المليارات من اصابع الفساد الاداري ويضمن انفاقها بنزاهة؟

بؤرة تخريب

احد الموظفين المطلعين في وزارة الكهرباء اسرنا بقوله: هناك حلقة نشطة من انصار النظام السابق موزعة على مناطق حساسة في الوزارة والمحطات تسرب المعلومات الى الارهابيين، كما انها تعمل على قبر القرارات الاصلاحية والقرارات اللازمة لتسيير العمل بحجج روتينية، وتعطيل اعمال الصيانة واصلاح ما يتخرب، وقد ازدادت فعلا اعمال التخريب، وتباطأت اعمال الاصلاح والصيانة.

وبعد!

هل هذا هو كل ما يمكن قوله عن صفحة ارهاب الكهرباء؟ ابدا، لابد من ان هناك تفاصيل اخرى لم نتمكن من قراءتها وعلمها عند الراسخين في وزارة الكهرباء من ايام (القائد الضرورة!) حتى اليوم، وعند الاميركان فقد اكتملت الحلقة، لا كهرباء لانه ليس هناك وقود ولا وقود لان مصافي النفط بحاجة الى الكهرباء، وليس هناك من يكسر هذه الحلقة، فليس هناك من يعرف اجابة السؤال الخالد. البيضة اولا ام الدجاجة؟